

تصريح

بقلم المستشرق الكبير الأستاذ جاستوق فييت

مدير دار الآثار العربية

لست فى حاجة إلى أن أقدم إلى القراء المصريين الدكتور زكى محمد حسن؛ فقد يكون مؤلفه الكبير عن الدولة الطولونية قند مر دون أن يسترعى انتباه جمهور كبير فى مصر، لأنه كتب باللغة الفرنسية؛ ولكن الدكتور زكى لم يكن لديه بد من كتابته بهذه اللغة؛ فقد أعده ليحصل به على درجة الدكتوراه من السربون. وهذا الكتاب يشهد على كل حال بأن الدكتور زكى يملك ناصية اللغة الفرنسية ويجيدها إجادته لغة بلاده.

وإنى لشديد الرغبة فى أن ينقل الدكتور زكى إلى العربية هذا المؤلف التاريخى حتى يستطيع المثقفون المصريون ممن لا دراية لهم باللغة الفرنسية أن يروا إلى أى حد استطاع المؤلف أن يلم بموضوعه إماما شاملا وأن يعالجه فى شعور وطنى أثر فى أثرًا بالغًا.

وقد عاد الدكتور زكى إلى مصر بعد دراسات واسعة ومثمرة فى فرنسا وألمانيا وإنجلترا وأسبانيا. وتسلم كأمين لدار الآثار العربية العمل الذى تؤهله له دراساته وأبحاثه. وكان أول همه أن يكون إنتاجه ظاهرًا منذ رجوعه إلى وطنه فألف الجزء الأول من كتاب عن تاريخ الفن الإسلامى فى مصر، وسارعت دار الآثار العربية إلى طبع هذا الكتاب على نفقتها؛ فهو الأول من نوعه فى اللغة العربية، وقد وفق فيه الدكتور زكى إلى اطلاع مواطنيه على الدراسات التى قام بها العلماء الأوروبيون فى هذا الميدان وإلى الأخذ بنصبيته فيه. والحق أن العلماء المتكلمين باللغة العربية يلزمهم أن لا يجهلوا تصانيف

المستشرقين إن لم يكن للموافقة على ما فيها فلا إعلان ما عسى أن يكشفوه في نتائج أبحاثهم من أخطاء، كما أن المستشرقين لا يستطيعون أن يعضوا الطرف عن المؤلفات المكتوبة بالعربية.

ولذا فإنى بصفتى غربى تربطه بالشرق دراسات طويلة، وباعتبارى مدير دار الآثار العربية أشعر بسرور مزدوج فى أن أقدم إلى القراء المصريين هذا المؤلف الجديد الذى كتبه الدكتور زكى.

وفى الواقع إن تصوير المخطوطات من أطرف نواحي الفن الإسلامى وأكثرها إمتاعاً، والدكتور زكى حسن، بفضل ما نعهده فيه من المزاي، يعرض لنا هذا الموضوع عرضاً دقيقاً واضحاً يشعر بأنه يحبه حبا جما. ولا ريب فى أن تذوقه الفن فى تلك الصور وفرط إعجابه بها سهلا عليه التعمق فى دراستها.

ويرى القراء أن الدكتور زكى يبدأ كتابه بمقدمة تاريخية لازمة يستعرض فيها تاريخ إيران ليتقل بعد ذلك إلى دراسة نشأة التصوير الإسلامى وتطور هذا الفن فى بلاد إيران مع العوامل التى أثرت فيه. وقد وفق المؤلف إلى شرح المدارس المختلفة وبيان مميزات كل منها، والمصورين الذين نبغوا وكانت لهم مواهب ممتازة تفوقها كلها مواهب زعيمهم بهزاد.

وانى عظيم الأمل فى أن يجد القراء المصريون فى قراءة هذا المؤلف الجديد ما وجدته فى قراءته من فائدة واغتناب.

جاستون فييت

القاهرة فى فبراير سنة ١٩٣٦

مقدمة

بقلم الأستاذ الجليل الدكتور عبد الوهاب عزام

- ١ -

حرم الإسلام تصوير ذوات الروح قضاء على الوثنية في كل مظاهرها فلم يعن المسلمون بتصوير الإنسان والحيوان، ووجهوا عنايتهم، حينما ازدهرت حضارتهم، إلى النقش والخط وتصوير النبات والجماد فأثروا في ذلك بآيات من الجمال.

على أن المسلمين ترخّصوا على مرّ الزمان في تصوير ذوات الروح وتجسيدها ولا سيما في العصور المتأخرة، القرن السابع الهجري فما بعده.

ففي قصر عمرا الذي كشفت بقاياها في بادية الشام، ويظن أن بانيه أحد الأمراء الأمويين، صور كثيرة حيوانية ونباتية، فلم يقتصر الأمويون على صور النبات والجماد التي نرى مثالها الجميل في الفسيفساء التي لا تزال تزين جدران جامع بني أمية بدمشق.

وقد روى أن المنصور العباسي حينما بنى بغداد أمر أن يوضع على إحدى قبابها صورة فارس تحركها الريح. وكذلك كشفت آثار سامرا وآثار الفاطميين في مصر عن صور حيوانية كثيرة. ولا تزال آثار الأندلس شاهدة بمثل هذا.

وكانت الكتب الإسلامية من أجمل المظاهر للفنون الجميلة في الخط والنقش والتذهيب والتلوين. وكانت صفحاتها أوسع مجالاً للصور الروحية التي نفر منها المسلمون دهراً.

في القرن السابع الهجري أولع الناس في العراق بالتصوير في الكتب

لتمثيل بعض قصصها. ومن أنبه الكنب في هذا مقامات الحريرى. فقد أغرم المصورون بتمثيل نوادر أبى زيد السروجى، فمثلوا كثيراً من أزياء ذلك العهد وعاداته. وفى المكتبة الأهلية بباريس نسخة من المقامات فيها زهاء مائة صورة صوّرت فى منتصف القرن السابع الهجرى.

وكان فى مصر والشام لهذا العهد اهتمام لتصوير الكتب كذلك.

ثم تجلّى هذا الفن فى البلاد الفارسية ولم يقف المصورون هناك عند حد فصوروا حتى الأنبياء والصحابة. وقد كان للفن هناك أطوار متداولة بتأثير الفن الصينى، وبترقية على مر الزمان. وقد تولى رعايته الملوك الذين امتد سلطانهم على البلاد الفارسية: الایلخانيون والتموريون فالصفويون. ولا تزال آثار تلك العهود ناطقة باهتمام القوم وتنافسهم فى تزيين الكتب والقصور بالصور.

وكانت سمرقند وهرات فى عهد تيمور وشاهرخ ويُسُنُقُر وحسين بيقرًا ووزيره مير على شير مجمع الكاتبين والمصورين. وختم هذا العصر بالمصور الذائع الصيت بهزاد.

وفى عهد الصفويين ازدهر التصوير ازدهاراً إذ عنى به السلاطين عناية كبيرة ولا سيما الشاه طهماسب (٩٣٠ - ٣٨٤هـ) والشاه عباس الكبير (٩٨٥-١٠٣٨هـ).

وفى عهد عباس ازدانت قصور أصفهان بآيات من النقش والتصوير رأيت بقاياها فى قصر چهل ستون (الأربعين عموداً) وغيره من قصور أصفهان. وفى ذلك العهد ظهرت بجانب الصور الفارسية صور يظهر فيها الفن الأوربى. وفى قصر چهل ستون صور تمثل سفراء أوروبا إلى الشاه عباس وتمثل مواقع حربية تذكر رائيها بصور قصر فرساي فى فرنسا.

ويمثل هذا العصر المصوّر النابه رضا عباسى

وكان للتصوير من بعد أطوار أدت به نحو الذبول .

ثم إلى جانب التصوير الفارسى التصوير الإسلامى فى الهند وغيرها،

وكل ذلكم جدير بدرس واسع .

- ٢ -

وقد عنى الأوروبيون كثيراً بدراسة التصوير الإسلامى والعمارة الإسلامىة، فجمعوا الكتب المصورة والصور المفردة ورتبوها على التاريخ ووصفوها . وجعلوا للفن الإسلامى تاريخاً واضحاً حتى كتب الأستاذ أرنولد وزميل له كتاباً فى فن الكتب خاصة سمّوه «الكتاب الإسلامى» .

- ٣ -

واهتم المسلمون فى هذه السنين بدرس الفنون الإسلامىة اقتداء بالأوروبيين . وكان من آثار هذا الاهتمام أن أرسلت وزارة المعارف المصرىة طالبا لدرس الفنون الإسلامىة وهو شاب نجيب تخرج فى كلية الآداب ومدرسة المعلمين العليا . أرسل إلى باريس فدرس مجداً حتى نال درجة الدكتوراه وأكمل درسه فى متاحف ألمانيا وغيرها، ثم عاد إلى مصر موفّقاً يُعنى بأن يمد اللغة العربىة بما تحتاجه من كتب الفن الإسلامى، وذلكم هو تلميذنا ثم زميلنا الدكتور زكى محمد حسن .

وقد كتب عن «الفن الإسلامى فى مصر» كتاباً ظهر منه الجزء الأول ثم وضع الكتاب الذى تقدمه إلى القراء بهذه الكلمة - كتاب «التصوير فى الإسلام عند الفرس» .

وإننا لنترجو في همة الدكتور زكى محمد حسن ونبوغه رجاء كبيراً،
أملين أن يبذل جهده في إمتاع قراء العربية بين الحين والحين ببحث في هذا
الموضوع الطريف.

والله يسر له كل خير، ويقدر له النجاح في كل عمل.

عبد الوهاب عزام

بغداد ٢٨ شوال سنة ١٣٥٤ - ٢٣ يناير سنة ١٩٣٦

مقدمة تاريخية

تمتد هضبة إيران من وادي دجلة والفرات غرباً إلى وادي نهر السند شرقاً، ومن خليج فارس وبحر العرب جنوباً إلى بحر قزوين ونهر جيحون شمالاً، فهي بذلك تشمل بلاد إيران الحالية وأفغانستان وبلوخستان وجنوب التركستان الروسية.

ولأن الأسترتين الكيانية (الأكمينية) والساسانية، أعظم الأسر الملكية التي حكمت تلك البلاد، نشأتا في إقليم فارس بالجنوب الغربي من إيران غلب اسم هذا الإقليم على بلاد إيران كلها، وأصبحت تعرف به عند اليونان والرومان والعرب والأوروبيين.

ولفظ إيران مشتق من لفظ آرى. فإيران بلاد الإيرانيين الذين هم قسم من الآريين نزحوا إلى وطنهم الجديد من أواسط آسيا.

ولا ريب في أن حضارة الشعوب التي كانت تسكن إيران قديمة جداً؛ فقد وجد السر أوريل شتاين، والأستاذ هرتزفلد، قطعاً من خزف رقيق متقن الصنع تزيينه إشطرة جميلة من الخطوط والأشكال الهندسية. وعلماء الآثار مختلفون في تعيين العهد الذي صنع فيه هذا الخزف، ولعل أرجح الآراء أنه صنع في الألف الرابع أو الثالث قبل الميلاد.

وقد عثر المنقبون أيضاً على نوع آخر من الخزف كشفوا أكثره في إقليم نهاوند، وليس لهذا الخزف رقة النوع السابق أو حسن صناعته، ويرجعه كثير من العلماء إلى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد.

وكان معرض الفن الفارسي فى لندن عام ١٩٣١ سبباً فى شهرة ما اكتشف فى لورستان من أوعية وأسلحة وأدوات زينة وغيرها من البرونز، اختلف العلماء كثيراً فى تاريخها ولكن أكثرهم يرجعونها إلى نحو ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

على أن تاريخ إيران قبل قورش Cyrus خرافى غامض؛ ولكننا نعلم أنه فى القرن السادس قبل الميلاد كان القسم الغربى من إيران يسكنه شعبان من الجنس الآرى، الميديون فى الشمال، والفرس فى الجنوب.

أما الميديون فكانوا قد نزحوا إلى هذه البلاد قبل ذلك بعصور طويلة، وكان اختلاطهم بالآشوريين والبابليين من سكان الجزيرة والعراق عاملاً كبيراً فى رقيهم، فتعلموا الكتابة وبلغوا من الحضارة مبلغاً كبيراً أمكنهم من إخضاع الفرس وإلزامهم دفع الجزية.

وكان الفرس أحدث عهداً بسكنى إيران، ولكن ضعفهم لم يدم طويلاً إذ تمكن قورش السالف الذكر من توحيد كلمتهم، ثم غزا شمال إيران فهزم الميديين واستولى على عاصمتهم اكبثانة (همذان الحالية)، ووجد ملك البلاد سنة ٥٥٠ قبل الميلاد وأسس الدولة الكيانية.

الدولة الكيانية (٥٥٩-٣٣١ قبل الميلاد)

مدّ قورش سلطانه شرقاً حتى نهر السند، ثم ضم إلى بلاده آسيا الصغرى بعد أن هزم الليديين وأسر ملكهم كروسس، وانتصر بعد ذلك على الكلدانيين فاستولى على بابل سنة ٥٣٩ ق. م، وسار خلفاؤه على سنته؛ ففتح ابنه قمبيز مصر سنة ٥٣٥ ق. م، والتقى الفرس والإغريق بعد هذه الفتوح، فكان بينهما الكفاح المعروف وتكررت حملات الفرس على بلاد

الإغريق وما بقى لها من المستعمرات (٥٠٠-٤٧٩ ق. م)، وظلت دولة الكيانيين قائمة إلى أن ظهر الإسكندر المقدوني وقضى على ملكهم (٣٣٤-٣٣١ ق. م).

وكان الآريون فى العصور القديمة يعبدون مظاهر الطبيعة ويعتقدون بوجود نزاع بين قواها المختلفة، إلى أن ظهر زردشت فى الألف الأول قبل الميلاد فوحد قوى الخير فى معبود واحد سماه أهورامزدا، كما جعل من الأرواح الشريرة وحدة هى أهريمان. والقوتان فى نزاع دائم: خلق أهورامزدا كل ما هو خير ونافع، وخلق أهريمان كل ما هو شر وضار، وواجب الإنسان أن ينصر روح الخير وأن يخذل روح الشر وأن يعتقد باليوم الآخر. وأيد زردشت فى تعاليمه تقديس الآرين للنار واتخذها رمزاً للخير والنور، وكان إيقاد النار على موقد فى العراء أهم مظاهر ديانته.

الإسكندر وخلفاؤه (٣٣٠-٢٤٨ ق. م)

مزق الإسكندر ملك الفرس ومهد انتصاره الطريق لنشر الحضارة الإغريقية فى الشرق الأدنى وشمالى الهند، وكان أكبر ما يطمح إليه أن يوحد الشرق والغرب ويجعل منهما إمبراطورية عالمية تحت سلطانه؛ فتزوج بنت دارا الثالث، وتبعه قواده فتزوج كثير منهم بفارسيات.

ولكن المنية عاجلته. وانقسم ملكه من بعده أقساماً تولى الأمر فيها قواده، ولم يصب أحدهم سلويقوس Seleucus شيئاً يذكر ولم يلبث النزاع أن دب بين خلفاء الإسكندر فانضم سلويقوس هذا، إلى أنتيجون وحصل بذلك على بابل، ولكن أنتيجون أراد بعد ذلك أن ينفرد بإرث الإسكندر فغلبه. سلويقوس على أمره، ومد سلطانه على أكثر الأملاك الآسيوية التى خلفها العاهل المقدوني، وأخذت الحضارة الإغريقية تنتشر فى الشرق الأدنى إبان حكمه وفى عصر خلفائه السلوقيين.

البارثيون Les Parthes (٥٠ ق.م - ٢٦٦ م)

كان يسكن خراسان (بارثيا) في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد شعب أرى نزع إليها من أواسط آسيا، واستطاع ملكه أرساكس Arsakes أن يستقل بإقليمه، وظل البارثيون في نزاع مع خلفاء سلويقوس حتى انتزعوا منهم غربى إيران وشرقى بلاد الجزيرة، ثم مع الرومان فسلبوهم أرمينية وغربى بلاد الجزيرة، وفي عهد مستراداتا الأكبر (١٧٤-١٣٦) بلغت إمبراطورية البارثيين أبعد حدودها، ومع أن هؤلاء البارثيين كانوا إيرانيين فيما يظن لم تكن تتمثل الحضارة الإيرانية في عصرهم تماما إلا في طبقات الشعب، أما البلاط وكبار رجال الدولة فقد غلبت عليهم الحضارة الإغريقية، وكان إلحاق الملوك البارثيين نسبهم بالكيانيين غير ذى أثر كبير بعد أن صبغ الإسكندر وخلفاؤه البلاد بصبغة إغريقية قوية.

الساسانيون Les Sassanides (٢٢٦-٦٤١ م)

يتسبون إلى ساسان وهو شخص خرافى يزعمون أنه كان كاهنًا فى اصطخر. وهم فوق ذلك يصلون نسبهم بالكيانيين.

وقد كانت إيران فى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد يحكمها عدة أسر صغيرة تخضع للبارثيين فسمى العرب هذا العصر عصر ملوك الطوائف، وكان بابل على رأس إحدى هذه الأسر الصغيرة يحكم إقليمًا فى فارس، ثم بدأ فى التوسع على حساب جيرانه، واستطاع حفيده أردشير أن يهزم أردوان آخر ملوك البارثيين فى إيران، فاغتصب عرشه وأسس الأسرة الساسانية التى ورثت فيما ورثته عن البارثيين النزاع بين إيران وروما ثم بيزنطة، فغزا أردشير أرمينية وبدأ ذلك الكفاح الذى ظل قائمًا بين الإمبراطوريتين حتى سقوط الساسانيين لا تتخلله إلا فترات قصيرة.

ولا ريب أن الفضل في العودة بإيران إلى مجدها الأول والسير بها في ميدان الحضارة شوطاً بعيداً إنما يرجع إلى الدولة الساسانية التي كان ملوكها أبطال الدفاع عن إيران والحضارة الإيرانية ضد الرومان ثم الإغريق في الغرب، وضد القبائل المغولية التركية في الشرق.

وقد اشتهر من ملوك هذه الأسرة شابور الأول الذي غزا سورية وقاتل الرومان سنة ٢٦٠ فأوقع بجيشهم هزيمة كبيرة وأسر إمبراطورهم (فالريان) فخلد الفرس ذكرى هذا الحادث الجلل في نقوشهم البارزة على الصخور.

ومنهم بهرام الخامس الذي ارتقى عرش إيران بمعونة النعمان ملك الحيرة، والذي برع في الصيد فلقبوه بهرام جور (من كور بالفارسية ومعناها حمار الوحش)، وكانت أكبر مجهوداته ضد القبائل التي كانت تهاجم الحدود الشمالية والشرقية لإمبراطوريته.

وفي سنة ٥٣١ ارتقى عرش إيران أنوشروان العادل الذي يتغنى بذكره شعراء العرب، فأصلح القوانين، ونظم الضرائب، واستتب الأمن في عصره، وانتصرت جيوشه في الحدود الشرقية والغربية، فأخضع سورية ومد سلطانه إلى بلاد اليمن. واستطاع أبرويز الثاني أن يخضع سورية والشام ومصر وآسيا الصغرى، وكاد يستولى على القسطنطينية لولا أن نهض لصدّه الإمبراطور هرقل فأوقع بالفرس في بلاد الجزيرة هزيمة كبيرة واسترد ما استولى عليه أبرويز.

ولما كانت الإمبراطورية الساسانية وليدة نهضة وطنية ملكية دينية فقد ظلت طول حكمها إيرانية وطنية للدين فيها المنزلة العليا، واستطاع ملوكها أن يبعثوا النظم الإدارية التي استحدثتها دارا في عصر الدولة الكيانية، وأن يبعثوا احترام الإدارة المركزية في نفوس حكام الأقاليم والمدن، وكان دين زردشت

مرتبطاً أوثق ارتباطاً بهذه النهضة المباركة فكان دين الدولة الرسمي، وعظم نفوذ رجال الدين حتى أصبحوا خطراً على نظام الملكية نفسه، فحاول الملوك فى القرن الرابع أن يصدوا هذا التيار وذهب بعضهم ضحية مساعيه هذه، فخلع أردشير الثانى (٣٧٩-٣٨٣) وقتل شابور الثالث (٣٨٣-٣٨٨) ويزدجرد الأول (٣٩٩-٤٢٠)، وكان هرمز الأول (٢٧٢-٢٧٣) قد اعتنق مذهب المانوية وهو مزيج من الزردشتية والنصرانية أساسه أن العالم نشأ عن أصلين: النور والظلمة، وعن النور نشأ كل خير وعن الظلمة نشأ كل شر، ولكن امتزاج الخير والشر فى هذا العالم شر يجب التخلص منه. والمانوية يدعون إلى الزهد ويحرمون النكاح استعجالاً للنفاء، ويقرون بنوة عيسى وزردشت ويزعمون أن مانى هو النبى الذى بشر به المسيح، على أن تعاليمهم لم تلق فى إيران نجاحاً كبيراً، فلما مات هرمز وخلفه بهرام الأول (٣٧٣-٣٧٦) قتل مانى وشرد أصحابه.

وأخر من خرج على دين زردشت من ملوك إيران قباد الأول (٤٨٨-٥٣١) فاتبع مذهب مزدك وهو ثنوى أيضاً، ولكنه يمتاز بتعاليمه الاشتراكية وإباحته الأموال والنساء، وكان قباد يرمى بتأييد هذا المذهب إلى القضاء على نفوذ الأشراف ورجال الدين، ولكنه غلب على أمره وأقصى عن العرش ورجع إليه ثانية بعد أن هجر تعاليم مزدك، ولا غرو فى ذلك فإنه مع أن الدولة الساسانية كان على رأسها عاهل يقده الشعب ويتزله منزلة الآلهة، كانت طبقة الأشراف تنعم بسلطة واسعة وتسيطر على الأرض وتخرج للحكومة الموظفين ورجال الجيش، كما كان رجال الدين يحافظون على تعاليم زردشت ولا يقف فى سبيلهم شىء دون قمع كل الحركات الإصلاحية.

على أن النزاع الذى ظل قائماً عدة قرون بين إيران وبيزنطة، كانت

نتيجته إضعافها وقت بدء الدعوة الإسلامية وعجزها عن وقف تيار العرب حين بدءوا فتوحهم العظيمة التي ما لبثت أن امتدت على إيران كلها.

الفتح الإسلامي

كانت قوة إيمان العرب بالعقيدة الإسلامية ورغبتهم في نشر هذه الديانة واعتقادهم بالقضاء والقدر وعرفانهم خصوبة إيران ومصر والشام، نقول كان ذلك وغيره أكبر مشجع لهم في فتوحهم الواسعة، كما ساعدتهم على ذلك ضعف الأمم العظيمة في ذلك الحين: الفرس في الشرق والرومان في الشمال، فسقطت مملكة الفرس في أيديهم وبقيت تابعة رأساً للخلفاء يرسلون إليها حاكمًا من قبلهم حتى أوائل القرن الثالث (التاسع الميلادي)، وكانت سياسة بني أمية العمل على إعلاء شأن العرب وصيغ الدولة الإسلامية المترامية الأطراف بالصيغة العربية فلم يلعب الفرس في عهدهم دوراً كبيراً، ثم جاء العباسيون فانتقل السلطان إلى يد الفرس الذين قامت على أكتافهم الأسرة الجديدة.

وما لبث العصر الذهبي للدولة العباسية أن آذن بالغروب وبدأ الانحلال يدب في أركان الدولة الإسلامية فأخذ حكام الأقاليم يطمعون في الاستقلال بها. وأقدمهم في إيران بنو ظاهر وبنو الصفار.

الدولتان: الطاهرية ٢٠٥ - ٢٥٩هـ (٨٢٠-٨٧٢)

الصفارية ٢٥٤ - ٢٩٠هـ (٨٦٧-٩٠٣)

وتنسب الأولى إلى طاهر بن الحسين المشهور بذي اليمينين والذي كان قائداً في خدمة المأمون فكافاه بولاية خراسان، وبقي الحكم في أسرته أكثر من خمسين عاماً حتى قضى عليها بنو الصفار، وأول ما كان من أمر هؤلاء أن

عميدهم يعقوب بن الليث الذي كان يصنع الصُّفْر (النحاس)، تولى حكم سجستان ومد سلطانه فى هراة وفارس، ثم هزم بنى طاهر واستولى على خراسان، وأراد فتح بغداد فهزمه الموفق أخو الخليفة، ومات يعقوب سنة ٢٦٥هـ (٨٧٨) فخلفه أخوه، ولكن بنى سامان ما لبثوا أن أزالوا دولته.

الدولة السامانية ٢٦١-٣٨٩هـ (٧٨٤-٩٩٩)

كان سامان فارسياً من أشرف بلخ دخل فى الإسلام فى عصر الدولة العباسية وظهر أحفاده الأربعة فى خدمة المأمون فولاهم بلاد ما وراء النهر، وحكم أحدهم فرغانه وسمرقند وكشغر، واستطاع ابنه من بعده أن يمد سلطانه من حدود الهند إلى قرب بغداد، واشتهرت بخارى فى عهد هذه الأسرة بفتح العلماء ونوابغ الباحثين. وعمل السامانيون على إحياء السنن الإيرانية وألحقوا نسبهم بالبطل الإيراني بهرام چوبين، وبدأت فى عهدهم الحركة الوطنية للنهضة باللغة الفارسية؛ فظهر الرودكى عميد شعراء الفرس الأولين، ونظم الدقيقى منظومة كبيرة لنوح بن نصر يقص فيها حوادث إيران فى عهد أحد ملوكها الخرافيين، وقد أدخل الفردوسى هذه المنظومة فى الشاهنامه، والفردوسى نفسه بدأ حياته الأدبية فى خدمة السامانيين.

بنو بويه ٣٢٠-٤٤٨هـ (٩٣٢-١٠٥٦)

بينما كان السامانيون يحكمون شرقى إيران ظهر فى غربها بنو بويه الذين يدعون أيضا أنهم من نسل الساسانيين، وكان بويه يرأس قبيلة عظيمة تسكن جنوبى بحر قزوين خضعت للسامانيين ثم لمردويج الزيارى الذى ولى على بن بويه الخراج، وما لبث ابن بويه أن اتخذ جنداً من الديلم وجعل يمد نفوذه جنوباً بمساعدة إخوته حتى اضطر الخليفة أن يعترف بولايتهم على ما فتحوه، فاستقر بذلك سلطانهم فى جنوبى فارس ثم مدوه إلى بغداد نفسها

حين دخلوها سنة ٣٣٤هـ (٩٤٥)، ومنح الخليفة أحدهم لقب أمير الأمراء فصارت لهم الكلمة العليا في أمور الدولة حتى سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥)، وكان أشهرهم عضد الدولة ٣٣٨-٣٧٢هـ الذي وسع نطاق التجارة وشمل برعايته العلوم والفنون.

الدولة الغزنوية ٣٥١-٥٨٢هـ (٩٦٢-١١٨٦)

بدأ العنصر التركي يلعب في الإمبراطورية الإسلامية دوراً مهماً منذ أخذ الخلفاء العباسيون وملوك الأسر الفارسية يستخدمون أفرادهم في بلاطهم ويتخذون منهم الجند المرتزقة، وكان سقوط بني سامان في نهاية القرن الرابع إيذاناً بانتقال السيادة في بلاد العجم من الإيرانيين إلى أتراك أواسط آسيا، وظلت إيران حتى القرن العاشر يحكمها ملوك من الترك أو المغول؛ على أن هذه العناصر كانت تصطبغ فيها بالصبغة الإيرانية حتى ليتمكن القول أن الأسر التي توالى على عرش إيران منذ القرن العاشر حتى القرن العشرين يمكن اعتبارها وطنية، سواء في ذلك من كان منها تركي الأصل ومن كان منها عريقاً في إيرانيته.

وأول الدول التركية التي حكمت إيران هي الأسرة الغزنوية، والأصل في تكوينها أن مملوكاً تركياً يسمى البتكين، ترقى في خدمة عبد الملك الساماني، ثم اعتصم بعد وفاته بجبال أفغانستان متحدياً سلطان السامانيين، وما لبث أن أقام حكومة صغيرة في غزنة بأفغانستان، ولكن المؤسس الحقيقي للأسرة الغزنوية هو صهره سبكتكين الذي اعترف به الخليفة وغزا البنجاب؛ وانتهز ابنه محمود من بعده فرصة انحلال الدولة السامانية فضم خراسان إلى أملاكه، وأخذ من البويهيين العراق العجمي وجرجان، وأحرزت جيوشه انتصارات عديدة في البنجاب حيث بذر بذور الإسلام في الهند، وامتدت

أملاكه إلى لاهور كما امتدت إلى سمرقند وأصبهان، وكان محمود بن سبكتكين من السنين الغلاة فاضطهد المعتزلة وحرق مؤلفاتهم، ولكن الدولة بلغت في عهده أوج عزها، وكان بلاطه محط شعراء الفرس فقدم له الفردوسى الشاهنامه أعظم الكتب الفارسية القصصية.

السلاجقة ٤٢٩-٧٠٠هـ (١٠٣٧-١٣٠٠)

عرفنا كيف ضعف سلطان العباسيين منذ القرن العاشر ولم يتعد نفوذهم بلاد العراق، وكيف كثرت الجنود المرتزقة من الأتراك فى خدمة الخليفة فاغتصبوا السلطان السياسى منه شيئاً فشيئاً وزاد نفوذ قومهم فى أنحاء الإمبراطورية الإسلامية.

والسلاجقة يعرفون بهذا الاسم نسبة إلى زعيمهم سلجوق الذى كان رئيس قبيلة تركمانية من بلاد ما وراء النهر، تمكنت من بسط نفوذها على خراسان، وزادت قوتها بعد سلجوق حتى استولى حفيده طغرل بك على الولايات الغربية للدولة الغزنوية، ثم سار إلى بغداد فدخلها سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥)، وقضى على دولة بنى بويه الشيعية فقلده الخليفة السلطة الدنيوية، وأخذ السلاجقة يمدون نفوذهم شيئاً فشيئاً حتى شمل إيران والعراق وآسيا الصغرى والشام.

وفى عهد السلطان ألب أرسلان الذى خلف طغرل بك أوقع السلاجقة بالبيزنطيين هزيمة كبيرة فى ملاذ كرد سنة ٤٦٤هـ (١٠٧١)، فوعدت أرمينية فى أيديهم وتمهد الطريق أمامهم للسيطرة على آسيا الصغرى وتهديد القسطنطينية.

وبلغت دولة السلاجقة أوج عزها فى عصر ملكشاه ووزيره نظام الملك

الذين اهتموا بشئون الرعية وعظفا على الشعراء والعلماء، وظهرت في عهدهما المدارس والجامعات، ولما مات ملكشاه سنة ٤٨٥هـ (١٠٩٣) ضعفت دولته وانقسمت بين أبنائه وأقاربه الذين كان يعينهم حكاماً ويطلق عليهم اسم الأتابكة.

هذا ولا ريب في أن المدة التي حكمها السلاجقة منذ دخولهم بغداد إلى وفاة السلطان سنجر سنة ٥٥٢هـ (١١٥٧) تعتبر من أزهى عصور الفن الفارسي؛ ومن أنجبهم العصر السلجوقي الإمام الغزالي وعمر الخيام.

دولة ملوك خوارزم ٤٧٠-٦١٧هـ (١٠٧٧-١٢٢٠)

أول أمرها أن أنوشتكين الذي كان عاملاً على خوارزم من قبل السلطان السلجوقي ملكشاه مات فخلفه ابنه وأراد أن يشق عصا الطاعة فطرده السلطان سنجر من خوارزم، ولكنه أفلح في العودة إلى هذا الإقليم وأخذ هو وخلفاؤه يسيطون نفوذهم في إيران، ثم انحاروا إلى المذهب الشيعي، وعقدوا العزم على القضاء على الخلافة العباسية لو لم يداهمهم جنكيزخان بجنوده المغول، وقد ظهر في عصر هذه الأسرة كثير من أدباء الفرس وشعرائهم، كنظامي وعطار.

المغول ٦٥٦-٧٣٦هـ (١٢٥٨-١٣٢٦)

غزا المغول بأمر جنكيزخان بلاد ما وراء النهر وشرقي إيران سنة ٦١٨هـ (١٢٢١) ودمروا كثيراً من المدن التي مروا بها، وكان من أكبر الكوارث في تاريخ إيران.

ولكن الذي وطد قدم المغول في بلاد الفرس إنما هو هولوكو الذي كان يحكمها في منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر) من قبل أخيه

الأكبر، والذي استولى على بغداد سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨) وقتل المستعصم آخر خلفاء العباسيين، ثم أسس في فارس أسرة حكمتها حتى سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٦) هي الأسرة الأيلخانية، وكان احتكاك التتار بالحضارة الإيرانية مهذباً لهم؛ فكانت إدارتهم بعد هولاكو حازمة رشيدة تمتاز بالتسامح وما لبثوا أن اعتنقوا الإسلام، وظلوا حريصين على الاتصال بيني عموماتهم من التتار البوذيين في الصين، ومن ثم كان عصر هذه الأسرة يمتاز في إيران بالأثر الصيني في الفن وفي الحياة الاجتماعية.

وقد كان نمو النظام الاقطاعي في إيران سبباً في القضاء على حكم خلفاء هولاكو، وظلت البلاد نحو خمسين عاماً بعد سقوط هذه الأسرة مقسمة إلى دويلات محلية صغيرة، مثل الدولة المظفرية في فارس وكرمان ٧١٣-٧٩٥هـ (١٣١٣-١٣٩٣)، ودولة الكرت في هراة، ودولة الجلائريين في العراق وغيرها من الدويلات التي بقيت حتى قضى عليها تيمورلنك في نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر).

تيمورلنك وخلفاؤه ٧٧١-٩٠٦هـ (١٣٦٩-١٥٠٠)

ولد تيمورلنك في بلاد ما وراء النهر سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥) من أسرة تركية عريقة في المجد، ولما وطد نفوذه في وطنه سار إلى إيران فهزم دويلاتها المختلفة ووحد السلطان فيها، ثم انطلق إلى روسيا وزحف إلى موسكو، وتحول بعد ذلك إلى الهند فتتابعت انتصاراته حتى احتل دهلي سنة ٨٠١هـ (١٣٩٨)، وما لبث أن أوقع بالسلطان العثماني بايزيد الهزيمة الكبرى عند أنقره سنة ٨٠٤هـ (١٤٠٢)، وقد كان تيمورلنك مخرباً في فتوحه متناهماً في القسوة والهمجية، ولكنه إن كان قد خرب شيراز ودهلي ودمشق وبغداد فإنما

فعل ليجمّل سمرقند عاصمة ملكه حيث يوجد قبره الذى يعد من عجائب الفن الإسلامى .

وبعد وفاة تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٥) دب النزاع بين ورثته، واستطاع أخيراً شاه رخ رابع أبنائه أن يرغم أقرباءه على الاعتراف به، فتربع على عرش إيران وبلاد ما وراء النهر، وجعل هراة عاصمته وجذب إليها طائفة كبيرة من الشعراء ورجال الفن فازدهرت الآداب والفنون فى عهده وفى عهد خلفائه .

الدولة الصفوية ٩٠٧-١١٤٨هـ (١٥٠٢-١٧٣٦).

وتنسب للشيوخ صفى الدين أحمد أولياء أردبيل الذى استطاع حفيده الشاه إسماعيل أن يهزم التركمان فى غرب إيران، وأن يؤسس سنة ٩٠٧ (١٩٠٢) أسرة حكمت بلاد الفرس حتى سنة ١١٤٨ (١٧٣٦) وألحقت نسبها بالإمام على بن أبى طالب، وأصبح المذهب الشيعى منذ توليها الحكم المذهب الرسمى لبلاد إيران، ولم يكن العثمانيون وهم أبطال الجنس التركى والمذهب السنى ليتركوا الفرس تتحد كلمتهم ويزداد نفوذهم فبدأ نزاع طويل بين الشعبين، وسار السلطان سليم سنة ٩٢٠ (١٥١٤) بجيوشه قاصداً تبريز عاصمة الشاه إسماعيل، فانتصر على جيوش إيران نصراً ميبئاً واستولى العثمانيون على الأملاك الغربية للإمبراطورية الصفوية، وزاد الطين بله أن قبائل التركمان كانت دائمة الغزو للحدود الشرقية، ففضى الشاه طهماسب (٩٣٠-٩٨٤هـ) مدة حكمه يكافح هذين الخطرين .

على أن العصر الذهبى للأسرة الصفوية إنما هو حكم الشاه عباس الأكبر (٩٨٥-١٠٣٨هـ)، فقد اعتلى العرش والخطر محقق بإيران، يهدد التركمان حدودها الشرقية الشمالية، ويستولى الأتراك على أذربيجان، فتمكن من

استعادة أملاكه المحتلة وتابع انتصاراته حتى طرد الترك من بغداد سنة ١٠٣٢
(١٦٢٣)، ثم عمل على مضايقتهم بإنشائه العلاقات الحسنة مع الدول
الأوروبية وبإدخاله النظم الحديثة في جيشه وإدارته؛ ومن أهم حوادث حكمه
نقل العاصمة إلى أصفهان التي جعلها وبنى فيها المساجد والقصور والطرق
المعبدة، فزارها ووصف عظمتها الغربيون من الأجناس المختلفة.

وأما خلفاؤه فقد اتبعوا سياسته بالرغم من استبدادهم وخلاعتهم، وهم
إن لم يستطيعوا الاحتفاظ ببغداد فاستعادتها الدولة العثمانية، فقد حافظوا
على البلاد الإيرانية وقلدوا الشاه عباس في تعصيد الفن ورجلته، وفي
مواصلة العلاقات الطيبة بالدول الأوروبية.

ولكن عوامل الضعف أخذت تدب في الدولة الصفوية حتى ثار الأفغان
عليها في عهد الشاه حسين (١٠٥-١١٣٥هـ)، وقد كانوا حتى ذلك التاريخ
تابعين لها، ويمكن اعتبار هزيمتهم للشاه حسين سنة ١١٣٥هـ (١٧٢٢)
واستيلائهم على أصفهان إيذاناً بسقوط الدولة الصفوية، ولو أن بعض أفرادها
ظلوا يحكمون في مازندران نحو عشر سنين.

نادرشاه

اقترب غزو الأفغان لفارس بفوضى شاملة هب على أثرها القائد
الافشاري نادر قلى معلناً عزمه على طردهم وتثبيت عرش الصفويين، ولكنه
ما لبث أن خلع آخر ملوكهم واغتصب العرش لنفسه سنة ١١٤٨هـ
(١٧٣٦)، ثم سار على رأس جيوشه فأخضع أفغانستان وتوغل في الهند
حتى استولى على دهلى ونهب كنوزها، ولكن حكمه لم يدم طويلاً ووقعت
البلاد بعد قتله سنة ١١٦٠هـ (١٧٤٧) في فوضى كبيرة.

الزنديون ١١٦٣-١٢٠٩هـ (١٧٥٠-١٧٩٤)

انقسمت إيران في عهد خلفاء نادر شاه إلى دويلات صغيرة، ولكن كريم خان الزندي ما لبث أن مد سلطانه على كل إيران إلا خراسان حيث بقي آخر خلفاء نادر شاه.

أسرة قاجار ١١٩٣-١٣٤٥هـ (١٧٧٩-١٩٢٦)

بعد وفاة كريم خان قام نزاع طويل بين خلفائه وبين محمد آغا من قبيلة قاجار التركية، واستطاع الأخير أن يؤسس أسرة جديدة وأن ينقل العاصمة إلى طهران، ومن أشهر ملوك هذه الأسرة ناصر الدين شاه الذي خطا في سبيل إدخال الحضارة الأوروبية في إيران خطوات كبيرة، وفي عهد هذه الأسرة ظلت روسيا تهدد إيران وتغتصب أطرافها البعيدة، وبدأت الدول الأوروبية تقسمها إلى مناطق نفوذ، ثم كانت الحرب الكبرى وخلفت في إيران ما خلفته في غيرها من مشاكل وأزمات انتهت بظهور رجل قوى لتوحيد البلاد والنهضة بها.

رضا خان بهلوي ١٣٤٥هـ (١٩٢٦)

وهو جلاله شاه إيران الحالي أصله من فلاحى مازندران دخل الجيش ووصل فيه إلى مرتبة القيادة، ثم سار إلى العاصمة بعد قتال مع الروس سنة ١٩٢١م، فألف وزارة دخلها وزيراً للحربية، وضعف نفوذ الشاه أحمد فغادر البلاد وأقام فى باريس حتى عزل فى سنة ١٩٢٥م، واعتلى العرش جلاله شاه رضا خان مؤسساً لأسرة البهلوية، ونهضت البلاد فى عهده بفضل إدخال الأنظمة الحديثة وإرسال البعثات العلمية ودخول إيران فى عصبة الأمم.
